طريقة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته

د.فتحي صالح معتوق بعيج

جامعة طرابلس كلية الآداب

ملخص البحث :

إن هذا البحث يتحدث عن موضوع من الأهمية بمكان ، إنه يتحدث عن طريقة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تعامله مع القرآن الكريم من حيث التلاوة والتدبر ، وقد قمت بجمع الأدلة من القرآن الكريم ، ومن السنة المطهرة ، وأفعال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في هذا الموضوع ؛ حتى أصل إلى الطريقة المثلى ـ بعون الله ـ التي كان يتعامل بها رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ وكيفية اقتداء الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ بهديه ، فهو المشرع الذي لا ينطق عن الهوى ، فحري بنا أن نتتبع هديه في كل شيء ، لا سيما في موضوع بهده الأهمية .

: Research Summary

This research talks about a topic of great importance. It talks about the method of the Holy Prophet - may God bless him and grant him peaceIn his dealings with the Holy Qur’an in terms of recitation and contemplation, I have collected evidence from the Holy Qur’an, the Sunnah, and the actions of the Companions – in this subject ; Until I reach - may God be pleased with them the best way – with God's help – in which our Noble Messenger – may God bless him and grant him peace – dealt with the Book How can the honorable - of God – Blessed and Most High companions - may God be pleased with them – imitate his guidance? He is the legislator who does not speak from his own whims, so it behooves us to follow his guidance in everything, .especially in a subject of such importance

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فإن من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن بعث فيهم محمداً رسول الله الذي أنزل عليه القرآن ؛ ليكون للناس بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلوات ربي وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً .

فقد أنزل الله القرآن الكريم على هذا النبي الكريم تزكية للأمة، وهداية لها، فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]

ولا تتحصل الفائدة من هذا الكتاب إلا بفهمه، وتدبر آياته ، كما أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في قوله عز وجل : ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[2] ولا شك أن أعلم الناس بالقرآن الكريم هو نبينا محمد ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد تكفل الله ـ سبحانه وتعالى ـ له بحفظه وبيانه ، فقال : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[3]

وأمرنا ـ سبحانه وتعالى ـ بطاعة رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعل هذه الطاعة من طاعته سبحانه فقال : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[4] كما أمرنا بالاقتداء به ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال:

---

(1) ـ سورة آل عمران ، الآية 164 .
(2) ـ سورة ص ، الآية 29 .
(3) ـ سورة القيامة ، الآيات 17 – 19 .
(4) ـ سورة النساء ، الآية 80 .

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[1] وجعل ذلك من الأسباب الموجبة لمحبة الله ـ سبحانه ـ ومغفرة الذنوب ؛ قال تعالى : ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]

وقد أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ــ أمته أن يتعلموا منه أمور دينهم ، فقال ـ ـ صلى الله عليه وسلم ــ في شأن الصلاة "صَلّوا كَمَا رَأَيتُمُونِي أُصَلِي "[3]، وفي الحج فقال : " خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم " [4] وغير ذلك .

ومما يقتدى به ويؤخذ عن النبي ـ ـ صلى الله عليه وسلم ــ الوحي المنزل من الله ـ تعالى ـ ولا شك أن هذا الوحي هو كلام رب العالمين ، فيجب أخذه عن النبي ـ ـ صلى الله عليه وسلم ــ وكيفية تلاوته ، وترتيله ، وتدبره ، والتعبد به ، أي فهم هذه الأمور المتعلقة بكتاب الله فهماً صحيحاً ، وأخذ هذا من السنة الصحيحة .

والنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعلم الناس بهذا الكتاب تلاوة، وفهماً ، وتدبراً وتطبيقاً، لذا ينبغي لمن أسلم أن يأخذ هذا العلم من المنبع الصافي ، وهو رسول الله ـ ـ صلى الله عليه وسلم ــ وصحبه الأبرار .

وقد وصلت إلينا مواقف عظيمة تبين تأثره ـ ـ صلى الله عليه وسلم ــ وطريقة تعامله مع هذا الكتاب العزيز

لذا رأيت أن أكتب في هذا الموضوع ، وأبحث عن طريقة النبي ـ ـ صلى الله عليه وسلم ــ في التعامل مع كتاب رب العالمين ـ جل جلاله ـ لنسترشد بها ونتعرف على أفضل طريقة للتعامل مع القرآن الكريم . وقد اخترت لهذا البحث عنواناً أسميته :

طريقة الرسول الكريم في تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته

دوافع اختيار الموضوع

إن الدافع الرئيس للكتابة في هذا الموضوع هو معرفة طريقة رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـفي التعامل مع كتاب ربنا ـ تبارك وتعالى ـ فهذا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المشرع لهذا الدين العظيم ، بعد الله ـ تعالى ـ وهو الذي أوصل إلينا تعاليم ديننا، وما أخذناه منه هو الحق ؛ لذا كان لزاماً علينا أن نقتفي أثره في كل شيء ، لا سيما في هذا الأمر الذي هو من صلب ديننا وهو تدبر القرآن الكريم .

---

(1) ـ سورة الأحزاب ، الآية 21 .
(2) ـ سورة آل عمران ، الآية 31 .
(3) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم . رقم الحديث 6008
(4) ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : أخبار الآحاد ، باب : ماجاء في إجازة خبر الواحد ، من حديث مالك بن الحويرث رقم الحديث 7246 .

أهداف البحث :

التعرف على طريقة الرسول الكريم في التعامل مع هذا الكتاب العظيم ، ثم بعد ذلك توجيه الناس وخاصة طلبة المدارس القرآنية ، وأساتذتهم إلى هذا الأمر ، وتعليمهم الطريقة الصحيحة للتعامل مع كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ من حيث التلاوة والتدبر .

لا شك أن للتدبر أسباباً كثيرة ، وطرقاً متعددة ، لكني في هذه الورقة اقتصرت على المنبع الصافي ، والمنهج السليم وهو منهج المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التدبر والتعامل مع هذا الكتاب العظيم ، لعلنا نستفيد منه ونقتفي أثره ، ونسير على منهجه ، في التدبر والتعامل مع كتاب الله ، وفي كل شيء ، حتى نفوز بالدنيا والآخرة وذلك هو الفوز العظيم .

منهج البحث

لقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي ، والنقلي والوصفي ، وذلك للبحث على منهج المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تعامله مع القرآن الكريم .

الدراسات السابقة

1 ـ كتاب التدبر مدخل إلى فهم القرآن الكريم للدكتور محمد خليفة القاسم يقدم هذا الكتاب شرحاً مفصلاً لمفهوم التدبر ، وخطواته ، وأساليب التدبر في القرآن الكريم .

2 ـ بحث " اثر برنامج تدبري في تنمية مهارات التدبر في القرآن الكريم لدى طلاب المرحلة الثانوية " للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحمدان : توصلت هذه الدراسة على أن برنامجاً تدبرياً يمكن أن يساهم بشكل فعال في تنمية مهارات تدبر القرآن الكريم لدى طلاب المرحلة الثانوية .

3 ـ رسالة ماجستير " التدبر في القرآن الكريم : دراسة تأصيلية " للباحثة أسماء بنت محمد بن عبد الجواد الصاوي : تقدم هذه الدراسة دراسة تأصيلية لمفهوم التدبر في القرآن الكريم ، وتتناول أنواعه ، ومستوياته ، وفضائله ، وفوائده .

حدود البحث

هذا البحث حدوده تتلخص في طريقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التعامل مع كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ من حيث طريقة القراءة والتدبر .

أهمية تدبر القرآن الكريم

إن الغرض الرئيس من إنزال هذا الكتاب العظيم هو إصلاح الناس وهدايتهم إلى طريق الله ، وبيان ما يصلحهم ، ويخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ

تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1] وبالطبع لن تتحقق هذه الهداية إلا بفهم هذا الكتاب ، والوقوف على معانيه ، وتمكنه من القلوب ، وتدبر آياته، ومن ثم العمل به .

وقد سمع المشركون القرآن الكريم من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أنهم لم يؤمنوا به ، ولم يهتدوا بهديه ، ولم يسيروا على منهجه ، والسبب هو إعراضهم عن الحقيقة التي كانت تطمس بصائرهم ، والحسد الشديد الذي ولع في قلوبهم ، قال تعالى : ﴿ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴾[2]

بل كانوا أقارب ، الأب وابنه كعبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين ، وابنه عبد الله الصحابي الجليل ، وأبوبكر الصديق صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ووالده ابن أبي قحافة قبل إسلامه ، والأخ وأخيه مثل : مصعب ابن عمير الصحابي وأخاه عبيد بن عمير مع كفره ، وكثير من المنافقين الذين كانوا يجلسون جنباً إلى جنب مع المسلمين يستمعون القرآن ويشاهدون نزول الوحي على الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أنهم لم يؤمنوا بهذا الدين ، ولا بهذا القرآن ، وقد كان التفاوت بينهم واضحاً في التأثر بهذا القرآن قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[3] ، وقال أيضاً : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[4]

---

[1] ـ سورة المائدة ، الآية 15 - 16 .
[2] ـ سورة المؤمنون ، الآية 66 ، 67 .
[3] ـ سورة القصص ، الآية 56
[4] ـ سورة التوبة ، الآية 124 ، 125 .

فهداية القرآن الكريم لا يمكن أن تتحقق إلا بتدبره ، وفهم معانيه ، وتصفية النفس من الحقد ، وطلب الحقيقة ، فمن طلب الحقيقة من المشركين بلغها ، وآمن بهذا الدين، ولكن من كان همه الحقد والحسد ، ولماذا ينزل هذا القرآن على رجل من العرب ، خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

لذا ندب المولى ـ سبحانه وتعالى ـ إلى تدبر القرآن ، والوقوف على معانيه ، والاتعاظ بمواعظه ، فقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2] وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3] .

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ " فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة ، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر ، وأشهر وأظهر من أن تذكر فهو المقصود والمطلوب ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب "[4] .

أما إذا لم يتدبر المسلمون كتاب ربهم ، ولم يعملوا به ، ولم يسيروا على منهجه ، يصير حالهم كحال اليهود الذين آتاهم الله التوراة فنبذوها وراء ظهورهم ولم يعملوا بها فصاروا كما وصفهم الله تعالى كمثل الحمار يحمل كتباً لا يفقه منها شيئاً قال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5] ، أو كمثل ذلك الرجل الذي آثر هوى النفس عن الهدى فضرب الله به مثلاً في أبشع صورة بأن شبهه بالكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ

---

(1) ـ سورة محمد ، الآية 24 .
(2) ـ سورة النساء ، الآية 82 .
(3) ـ سورة ق ، الآية 37 .
(4) ـ التبيان في آداب حملة القرآن ص 81 .
(5) ـ سورة الجمعة ، الآية 5 .

عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

لذا على المسلمين إدراك أهمية التدبر ، والبحث على الوسائل المعينة عليه ، ودراسة طريقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه الأخيار في هذا الشأن وفهمها ، وألا يأخذوا الموضوع على أنه من كماليات الشريعة ، فإن الحال الذي أوصل أمتنا إلى هذا الوضع ـ والله أعلم ـ هو البعد عن ديننا الحنيف ، ألا وإن تدبر كتاب الله والعمل به من أولى الأولويات فنسأل الله الهداية .

وقد قسمت هذا البحث ـ بإذن الله تعالى ـ إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع .

المقدمة خصصتها للحديث عن أهمية تدبر القرآن .

المبحث الأول ـ طريقة تلاوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقرآن الكريم وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول ـ أهمية المنهج النبوي في التلاوة .

المطلب الثاني ـ طريقته ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الترتيل .

المطلب الثالث ـ الترسل في القراءة .

المطلب الرابع ـ تحسين الصوت .

المطلب الخامس ـ الجهر بالقراءة .

المطلب السادس ـ إطالة القراءة .

المبحث الثاني ـ الأسباب المعينة على التدبر وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول ـ القراءة في الصلاة.

المطلب الثاني ـ التفكر في معاني الآيات.

المطلب الثالث ـ اختيار الوقت المناسب للتلاوة.

المطلب الرابع ـ ترديد الآيات وتكرارها.

المطلب الخامس ـ استماع القراءة من الآخرين.

---

[1] ـ سورة الأعراف ، الآية 175 ، 176 .

المطلب السادس ـ التفاعل العملي مع القرآن.

المطلب السابع ـ البكاء عند سماع القرآن.

الخاتمة .ـ وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأ ول ـ طريقته في تلاوته صلى الله عليه وسلم :

المطلب الأول ـ أهمية المنهج النبوي في التدبر :

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـهو من أنزل عليه القرآن الكريم وهو المنقذ للأمة ، من ظلمات الجهل والكفر ، إلى نور الإسلام قال تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[1]

وقد أُمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـبتلاوة القرآن الكريم على الناس ، وإنذارهم بما فيه ، وتعليمهم كيفية تدبره ، وأن يوضح لهم ما أُمر بتوضيحه ، فقال سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾[2] وقال أيضاً : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾[3]

كما أمره المولى ـ جل جلاله ـ بأن يبين للناس ما نزل إليهم قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] .

---

(1) ـ سورة إبراهيم ، الآية الأولى .
(2) ـ سورة الرعد ، الآية 30 .
(3) ـ سورة الشورى ، الآية 7 .
(4) ـ سورة النحل ، من الآية 44 .

ثم أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده باتباع هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بهديه واتباع سنته ، فقال : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[1] .

ومما لا شك فيه أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أتقى الناس لله ـ تعالى ـ وأخشاهم له ، وأعرفهم به ، ومن نتاج ذلك أنه كان إذا قرأ القرآن يتأثر به ، ويبكي في مواضع البكاء ، ويسبح في مواضع التسبيح ، وهكذا .

لذا رأيت أن أبين حال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند تلاوته للقرآن الكريم، حتى نسير على نهجه ، ونقتفي أثره ، ونتخلق بخلقه ، فخير الهدي هدي محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني ـ طريقته ـ صلى الله عليه وسلم في الترتيل :

يعد ترتيل القراءة ، وتجويدها ، وتحسينها بقدر ما يمكن ، من الأسباب المعينة على التدبر ، ويعرف التجويد : بأنه إخراج كل حرف من مخرجه الصحيح وإعطاؤه حقه ومستحقه ـ بفتح الحاء ـ من الصفات .[2]

وللقرآن الكريم خاصية تختلف عن سائر الكلام العربي من حيث النطق به ، وكيفية أدائه ، وهو التجويد الذي يختص به القرآن الكريم ، والذي تلقاه الصحابة ـ رضي الله عنهم ــ من في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم نقلوه إلينا .

قال النووي : " قال العلماء : الترتيل مستحب للتدبر وغيره ، قالوا : ولهذا يستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه ؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيراً في القلب "[3] .

والقرآن العظيم له خصائص عظيمة ، منها خاصية التجويد التي يمتاز بها عن سائر كلام العرب ، فهو بهذه الخاصية يُؤثر في النفوس ، ويلفت انتباه السامع ، ويشده إليه ، لا سيما إذا كان القارئ حسن الصوت ، متقناً لأحكام التجويد .

وقد أمر الله ـ عز وجل ـ رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بترتيل القرآن الكريم فقال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلاً ﴾[4] . وكانت طريقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يرتل القرآن كما أمره الله ـ تعالى ـ كما روت أم المؤمنين حفصة ـ رضي الله عنها ـ

---

[1] ـ سورة الحشر ، من الآية 7 .
[2] ـ هداية القاري إلى تجويد الباري ، عبد الفتاح بن السيد عجمي ص 45 .
[3] ـ التبيان في آداب حملة القرآن ص 89 .
[4] ـ سورة المزمل ، من الآية 4 .

قالت: " مَا رَأَيتُ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ[1] قَاعِداً ، حَتَّى كَانَ قَبلَ وَفَاتِهِ بِعَام ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سَبْحَتِهِ قَاعِداً ، وَكَانَ يَقرَأُ بِالسُّورَة فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطولَ مِن أَطوَلَ مِنهَا"[2] .

وعن قتادة ـ رحمه الله ـ أنه قال : " سُئِلَ أَنَس : كَيفَ كَانَت قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ فَقَالَ : كَانَت مَداً ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ بِسمِ الله الرَّحمَنِ الرَّحِيم ﴾ يَمُدُّ بِبِسمِ الله ، وَيَمُدُّ بِالرَّحمَنِ ، وَيَمُدُّ الرَّحِيمِ .[3]

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أَنَّهَا سُئِلَت عَن قِرَاءَةِ رَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَقَالَت : كَانَ يَقطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَة ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[4]

ولا شك أن جودة القراءة بإخراج كل حرف من مخرجه ، دون تداخل يوضح الآية، ويبين معناها ، ويعين على فهمها ، ويستوعبها القارئ والسامع ، بخلاف القراءة غير الجيدة فإنها لا تعين القارئ ولا السامع .

وعليه فقد ذهب بعض علماء القراءات إلى وجوب التجويد للقارئ كما قال ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن أثم[5]

ذلك أن القراءة سنة متبعة تلقاها الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وقد كان يرتل القرآن ويجوده ، فيجب اتباعه في هذه ، كما يجب اتباعه في كل شيء .

المطلب الثالث ـ الترسل في القراءة :

والمقصود بالترسل هو القراءة بتمهل وتركيز لما يقول ، ويحاول القارئ فهم كل ما يمكن ، فهذا القرآن نزل بلغة العرب ، وقدر كبير منه تفهمه العرب بلغتها ، ويقف عند بعض الآيات ويتدبرها ، ويستحضر معناها ، بل ويعتبر أن الخطاب موجه إليه مباشرة .

---

(1) ـ السبحة : بضم السين وإسكان الباء : النافلة . صحيح مسلم بشرح النووي 21/5 .

(2) ـ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب : الصلاة ، باب : معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد العصر ، رقم 733 .

(3) ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : مد القراءة رقم 4759.

(4) ـ سورة الفاتحة ، والحديث : أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : سجود القرآن ، باب : استحباب الترتيل ، رقم 1465، وصححه الألباني .

(5) ـ متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية ، لابن الجزري ، بشرح الشيخ : زكريا الأنصاري ص 15 .

وقد ثبت الترسل في قراءته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن هذا من فعله ، فعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال : " صَلَّيتُ وَرَاءَ النَّبِيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـذَاتَ لَيلَةٍ، فَافتَتَحَ بِالبَقَرَة ، فَقُلتُ يَركَعُ عِندَ المَائَة ثُمَّ مَضَى ، فَقُلتُ : يُصَلِّي بِهَا فِي رَكعَة ، فَمَضَى، فَقُلتُ : يَركَعُ بِهَا ، ثُمَّ افتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افتَتَحَ آلَ عِمرَانَ فَقَرَأَهَا ، يَقرَأُ مُتَرَسّلاً "[1]

فقول حذيفة ـ رضي الله عنه ـ في وصف قراءة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ" يَقرَأُ مُتَرَسِّلاً " دليل على أهمية الترسل والتأني في القراءة . وأن هذه سنة من سنن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأن التأني في القراءة يعطي السامع فرصة كبيرة ، ووقتاً كافياً لفهم النص القرآني ، ويجعل القلب يتأثر به ، ويستوعبه جيداً .

وقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـأن يرتل القرآن الكريم ويقرأه على أمته بروية وتمهل ، كي يستوعبوه ، ويتدبروه ، ويفهموا معظمه ، فقال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[2]

لهذا لم يثبت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسرع في قراءته ، ولم يختم القرآن الكريم في ليلة مثلاً ، أو في زمن يسير ، حتى قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: " وَلَا أَعلَمُ أَنَّ نَبِيّ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَرَأَ القُرآنَ كُلَّهُ فِي لَيلَةٍ ، صَلَّى لَيلَةً إِلَى الصُّبح "[3].

وأما الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فكانت طريقتهم لا تختلف عن طريقته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التأني في القراءة ، وكراهية السرعة التي تخل بالمعنى ، فقد روى أبو سعيد الخذري ـ رضي الله عنه ـ قال : قَالَ النَّبِي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " أَيَعْجَزُ أَحَدَكُم أَن يَقرَأَ ثُلُثَ القُرآنَ فِي لَيلَةٍ ، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيهِم ، وَقَالُوا وَكَيفَ يَقرَأُ ثُلُثَ القُرآنَ يَا رَسُولَ الله فَقَال : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[4] ثُلُثُ القُرآن "[5] .

والشاهد من هذا الحديث أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـعندما ندبهم إلى قراءة ثلث القرآن في ليلة شق ذلك عليهم ، حتى قالوا : " وأينا يطيق ذلك " دليل على أنهم كانوا يقرأون بتأن ، ولا يسرعون في قراءتهم ، ولو كانوا يسرعون فيها ما شق ذلك عليهم، وثلث القرآن عشرة أجزاء ، وهم الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون .

---

(1) ـ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الصلاة ، باب : استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، رقم الحديث 772 .

(2) ـ سورة الإسراء ، من الآية 106 .

(3) ـ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب :جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض من حديث طويل رقم الحديث ، 394 رقم 745 .

(4) ـ أي : سورة الإخلاص ، قال النووي في فتح الباري : " قوله : " الله الواحد الصمد ثلث القرآن "عند الإسماعيلي من رواية خالد الأحمر عن الأعمش فقال يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فهي ثلث القرآن ، فكأن رواية الباب بالمعنى ، وقد ورد في حديث أبي مسعود المذكور نظير ذلك ، ويحتمل أن يكون سمى السورة بهذا الاسم لاشتمالها على الصفتين المذكورتين ، فتح الباري 9 /60 .

(5) ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل (قل هو الله أحد) رقم الحديث 5015 ،.

ومما لا شك فيه فإن من يسرع كثيراً في القراءة ، ويخل بالمعنى ، فهذا غير مصيب ، وقد جاء رجل إلى ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فقال : " قَرَأتُ الْمُفَصَلَ اللَّيلَة فِي رَكعَةٍ ، فَقَالَ ـ رَضِيَ الله عَنهَ ـ هَذاً كَهَذِ الشَّعْرِ ؟ لقد عرفت النظائر التي كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـيقرن بينهن ، فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في ركعة "[1]

وقد وضح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـأن القراءة السريعة تؤدي إلى عدم الفقه ، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ "[2] ، وفي لفظ " إِقْرَأْ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِيدَنَّ عَلَى ذَلِكَ"[3].

من خلال هذه المعاني السامية ، والتوجيهات النبوية الرائعة ، ينبغي لأئمة الصلوات لا سيما في شهر رمضان ، وفي صلاة التراويح ، أن يترسلوا في القراءة، ويتدبروا فيما يقرأون ، ويوجهوا الناس إلى هذا الفقه ، وإلى هذا الفهم ، وأن الأمر شرعي صرف ، لا ينبغي لهم أن يحيدوا عنه ، ولا يكون هم الناس متى تنتهي الصلاة؟ ومتى يخرجون من المسجد ؟

المطلب الرابع ـ تحسين الصوت بالقرآن :

من الأمور التي أمر بها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، والتي تعين على التدبر ، هي تحسين الصوت عند القراءة ، فينبغي للمسلم أن يأخذ بهذا التوجيه النبوي ، حتى يحضى برضوان الله ـ تبارك وتعالى ـ فقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ/ " زَيِنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ "[4]

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أذِنَ لنَبِيٍ حَسَنَ الصّوتِ يَتَغَنّى بِالقُرآنِ يَجهَرُ بِهِ "[5] .

وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستمع إلى قراءة أصحابه ويحثهم على التدبر، ويوصي بالقراءة عليهم ، والتلقي منهم ، لا سيما الذين يمتازون بحسن الصوت، فقد استمع ذات مرة إلى قراءة أبي موسى ، وامتدحه لحسن صوته ، ثم قال له : " لَو رَأَيتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقَرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرَ آلَ دَاوُدَ"[6].

---

(1) ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة ، رقم 775 .
(2) ـ أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : شهر رمضان ، باب : تحزيب القرآن ، رقم 1396 ، إسناده صحيح على شرط الشيخين .
(3) ـ أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : شهر رمضان ، باب : في كم يقرأ القرآن حديث رقم 1390 .
(4) ـ أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : الوتر ، باب : استحباب الترتيل في القراءة رقم 1470 .
(5) ـ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : التوحيد ، باب : قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـالماهر بالقرآن ، رقم الحديث 7544 ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، رقم الحديث 792 .
(6) ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : حسن الصوت بالقراءة للقرآن ، رقم الحديث 5048 .

وفي رواية أخرى أن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : " وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَو عَلِمْتَ أَنَّكَ تَسْمَعُ قِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيراً ".

وقد أوصى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقراءة القرآن على عبد الله بن مسعود ، لحسن صوته ، وجودة قراءته للقرآن ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم : " مَنْ أَحَبَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضّاً كَمَا أُنزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةْ ابْنِ أَمِ عَبْدٍ "[1] يعني ابن مسعود.

لذا فإن الصوت الجميل ، والقراءة المتأنية ، تساعد على حسن الاستماع ، والتركيز والتدبر ، ومن ثم الفهم الجيد ، وكلما حسن الصوت ، أزداد إقبال الناس عليه .

المطلب الخامس ـ الجهر بالقراءة :

من أبرز العوامل التي تعين على التدبر ، الجهر بالقراءة ، وهذا من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فقد كان يجهر بالقراءة ، وبين أن هذا الأمر محمود ، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ[2] لِنَبِيٍ حَسَنَ الصَّوتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ "[3]

وقال الإمام الغزالي بعد أن ذكر النصوص الدالة على الإسرار بالقراءة، والجهر بها : " فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع ، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر، فالجهر أفضل ؛ لأن العمل فيه أكثر ؛ ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره ، فالخير المتعدي أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القاري ، ويجمع همه إلى الفكر فيه ، ويصرف إليه سمعه ؛ ولأنه يطرد النوم عند رفع الصوت ، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ، ويقلل من كسله "[4] .

المطلب السادس ـ إطالة القراءة :

إن من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يطيل القراءة ، فعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال : " صليت وراء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات ليلة فافتتح بالبقرة فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت : يصلي بها، ثم افتتح النساء ، ثم افتتح آل عمران فقرأهما ، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم ، فكان ركوعه نحواً من قيامه ، ثم قال : سمع الله لمن حمده ، ثم قام طويلاً

---

(1) ـ أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب : الإيمان وفضائل الصحابة ، باب : فضل عبد الله بن مسعود ، رقم الحديث 138 9 .
(2) ـ ما أذن : ما أستمع . فتح الباري 69/9 .
(3) ـ تم تخريجه
(4) ـ إحياء علوم الدين ن لأبي حامد الغزالي 504/3 .

قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال : " سبحان ربي الأعلى " فكان سجوده قريباً من قيامه "[1] .

وكان من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ طول القراءة حتى أنه كان يُتعِب من يصلي معه . هذا إذا كان معه النفر أو الاثنين ، ويَعرف حالهم بانهم يطيقون ذلك ، فقد صلى معه عبد الله بن مسعود ذات مرة وقد ذكر ذلك فقال ـ رضي الله عنه : " صَلَيتُ مَعَ النّبِي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَيلَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ قَائماً حَتّى هَمَمْتُ بِأمْرٍ سُوءٍ ، قُلنَا : وَمَا هَمَمْتَ ؟ قَالَ : هَمَمْتُ أنْ أَقْعُدْ وَأَذَرْ النَبِي ـ صلى الله عليه وسلم ـ "[2]

ويرى العلماء أن إطالة القراءة أدعى لحضور القلب ، وارتباطه بما يتلو ، وانسجامه مع الآيات التي يقرأها ، واجتماع الذهن حولها ، هذا بخلاف القراءة القصيرة التي قد لا يتمكن القلب فيها من الحضور ، ولا من الخشوع خلالها ، فالزمن له دوره في هذا الشأن

المبحث الثاني ـ الأسباب المعينة على التدبر :

المطلب الأول ـ القراءة في الصلاة :

الصلاة هي الركن الأعظم في الإسلام بعد الشهادتين ، وعلى المسلم أن يحافظ عليها محافظة كبيرة ، وإن من شروطها الخشوع ، والخشوع يعني التدبر في القراءة.

لذا فإن القراءة في الصلاة أكثر تأثيراً في القلب ؛ لأن الصلاة وحدها عبادة عظيمة، وعندما تتزين بطول التلاوة ، فإنها تزداد حسناً على حسن ، وتكون أكثر وقعاً على القلب ، وقد وردت الآثار الصحيحة عن قراءته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الصلاة وأنه كان يطيل القراءة طولاً كبيراً ، لا سيما في صلاة التهجد ، كما في المثال السابق ، في المبحث السابق ، وقد كانت قراءة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء الصلاة ، ففيها يتعبد ربه بالصلاة والتلاوة الجيدة عملاً بقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[3]

---

[1] ـ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، رقم 772 .

[2] ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجمعة ، باب : طول القيام في صلاة الليل ، رقم الحديث 1135 ، واللفظ له ، ومسلم في المصدر نفسه ص306 ، رقم 773 ، وقد سبق تخريجه .

[3] ـ سورة الإسراء ، الآية 78 – 79 .

وبين النبي ـ صلى الله عليه وسلم : أن من قام بالقرآن فإن هذا الأمر أفضل ما يمكن وأن من أعطي القرآن من حقه عليه أن يقوم به الليل ، فقال : لَا حَسَدَ إِلَا فِي اثْنَيْنِ " رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهْوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النّهَارِ "[1] . من خلال هذا العرض نجد أن على المسلم أن يجعل جزاءً من تلاوته للقرآن أثناء الصلاة ، خاصة صلاة الليل، فهي أشد وطأً كما أخبر المولى ـ جل جلاله ـ عن ذلك فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾[2]

المطلب الثاني ــ التفكر في معاني الآيات :

إن التفكر في الآيات الكريمة من الأمور الأساسية التي رغب فيها الشارع الكريم، وحتى عليها ، وقد كان سلفنا الصالح يتفكرون في آيات الله تعالى ؛ لأن التفكر في معاني الآيات يدفع الإنسان إلى العمل ، وهذه هي الغاية المنشودة ، التي ينبغي لكل مسلم أن يصل إليها ، وقد لوحظ على بعض المسلمين أنه يردد الآية مرات ومرات لكنه لا يفهم معناها ، وهذا من الخطأ الكبير ، وقد رغب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في فهم القرآن الكريم ، ووجه إلى تدبره ؛ بل توعد في بعض الآيات من التقصير في التدبر، ففي الحديث أنه كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي والدموع تنهمر منه ، فجاء بلال ـ رضي الله عنه ـ يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخّرَ ، قَالَ : " أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً [3]، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيّ اللَيْلَةَ آيَة وَيلٌ لِمَنْ قَرَأهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرَ فِيهَا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[4]

فبين ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهمية التفكر في آيات القرآن الكريم ؛ بل وذكر الوعيد لمن لم يتفكر فيها . وهذه الآية الكريمة إحدى الآيات التي تتحدث عن خلق السموات والأرض وما فيهما من آيات ، وها هو النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتدبر في

---

(1) ـ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، رقم الحديث 267

(2) ـ سورة المزمل ، من الآية 1 – 5 .

(3) ـ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : صفة القيامة والجنة والنار ، باب : إكتار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، رقم الحديث 79 .

(4) ـ سورة آل عمران ، الآية 190 .

هذه الآية ، ويحث المسلمين على التدبر فيها ؛ بل يتوعدهم بذلك ، وكان يبكي والدموع تنهمر منه حتى بلَّ لحيته كما أسلفت .....

وهذا المنهج النبوي العظيم ينبغي لكل مسلم أن يحرص عليه ، إنه منهج التدبر في آيات الله، سواءً في السموات أو الأرض ، أو البحار أو الجبال ، أو في شيء من مخلوقات الله تعالى التي يعجز المقام عن حصرها ، عندما يتفكر الإنسان في هذه المخلوقات العظيمة الكثيرة المتنوعة يزداد إيماناً على إيمانه ، وقوة يقين وحباً لهذا الإله العظيم الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ، ثم لا يملك إلا أن يقول : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] .

المطلب الثالث ـ اختيار الوقت المناسب للتدبر :

إن لكل شيء وقتاً مناسباً له ، وأفضل شيء أن يقوم الإنسان بهذا الشيء في وقته المناسب له ، والتدبر أيضاً له وقت ، يكون هذا الوقت أنسب ما يكون ، وهو وقت فراغ الدهن من الأمور الدنيوية المشوشة له ، فلا ينبغي للمسلم أن يقرأ القرآن ، أو يتدبره في الأوقات التي يكون فيها الدهن مشتتاً ، والقلب مشغولاً ، وإن أنسب وقت للتدبر هو جوف الليل، حيث تسكن النفوس ، وينام الجميع ، ويهدأ الضجيج ، فيتفرغ القلب لمناجاة ربه ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾[2] فهذا هو أفضل أوقات التلاوة والتدبر .

لهذا أمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالترتيل ليلاً فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾[3]

قال الطبري ـ رحمه الله ـ :" ويعني بقوله : ﴿ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ : ناشئة الليل أشد ثباتا من النهار، وأثبت في القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار"[4] . وأخرج الإمام

---

(1) ـ سورة آل عمران ، من الآية 191 .
(2) ـ سورة المزمل ، الآية 6 .
(3) ـ بداية سورة المزمل .
(4) ـ جامع البيان للطبري ، 370/23 .

الطبري من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله : ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ قال أدنى من أن تفقهوا القرآن ، وأخرج عن مجاهد : أثبت قراءة [1] . وهذا طبعاً لفراغ القلب عن سائر الأشغال التي يتعلق بها في النهار ، ولهذا كان دأب الصالحين قيام الليل كما قال سبحانه : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2] .

ومن الأمور المتعلقة بهذا الموضوع أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أمر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتهجد بالقرآن ، والتهجد هو الصلاة التي تكون بعد نوم من الليل ، قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[3]

وكان الصالحون من أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ ينهجون هذا النهج فيجعلون النهار لأشغالهم ، ويجعلون الليل لربهم .

وفي الصحيح عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : " مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَو عَنْ شَيءٍ مِنهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَينَ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَصَلَاةَ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللّيْلِ "[4]

وهذا دليل على أفضلية القراءة في الليل ، وأنها ألأصل في تلاوة القرآن حيث الهدو، والسكون ، وصفاء الدهن ، وهذا أدعى للتدبر والفهم الجيد .

المطلب الرابع ـ تكرار الآيات وترديدها :

إن من الأمور التي تعين على التدبر هي الوقوف عند بعض الآيات الكريمة ، وترديد هذه الآيات بعد فهم معناها طبعاً ؛ لأن المسلم إذا فهم معنى الآية الكريمة ، وبقي يرددها فإنه يزداد تأثراً بها ، وفهماً لها ، ويعيش معها ، وقد كان الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يردد بعض الآيات عدة مرات حتى يستوعبها ويعيش معها .

فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : " قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم ، ثم تخلف أصحاب له يصلون ، فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله ، فلما رأى القوم قد أخلوا المكان رجع إلى مكانه فصلى، فجئت فقمت خلفه ، فأومأ إلي بيمينه فقمت عن يمينه ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه ، فأومأ إليه بشماله ، فقام عن شماله ، فقمنا ثلاثتنا يصلي كل رجل منا

---

[1] ـ المصدر نفسه 23 / 374 .
[2] ـ سورة السجدة الآية 16 .
[3] ـ سورة الإسراء ، الآية 79 .
[4] ـ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ومن نام عن حزبه ، رقم الحديث 747 .

بنفسه ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو، فَقَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدَهَا حَتَّى صَلَى الْغَدَاةَ ، فبعد أن أصبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسعود : أن سله ما أراد إلى ما صنع البارحة ؟ فقال ابن مسعود بيده : لا أسأله عن شيء حتى يحدث إلي ، فقلت بأبي أنت وأمي ، قمت بآية من القرآن ومعك القرآن ، لو فعل هذا بعضنا وجدنا عليه ، قال : " دَعَوتُ لِأُمَّتِي ، قُلتُ فَمَاذَا أُجِبْتَ ـ أَو مَاذَا رُدَ عَلَيْكَ ؟ ـ قال : " أُجِبْتُ بِالَّذِي لَو اطَّلَعَ عَلَيهِ كَثِيرٌ مِنْهُم طَلْعَةً تَرَكُوا الصَّلاة " قلت : أفَلَا أَبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : " بَلَى " فَانْطَلَقْتُ مُعَنَّقاً قَرِيْباً مِنْ قَذْفِهِ بِحَجَرٍ ، فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ إِنْ تَبْعثْ إِلى النَّاسِ بِهَذَا نَكَلُوا عَنِ العِبَادَةِ ، فَنَادَاهُ أَن ارْجَعْ فَرَجَعَ ، وتلك الآية : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] والحديث [2]

وهذا دأب الصالحين فقد أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن عبيد الطائي قال : سمعت سعيد بن جبير وهو يصلي بهم في شهر رمضان يردد هذه الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[3] ، وكان الربيع بن خيثم يصلي فمر بهذه الآية :﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4] ، وذكر النووي عن عباد بن حمزة قال : " دخلت على أسماء ـ رضي الله عنها ـ وهي تقرأ : ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾[5]، فوقفت عندها ، فجعلت تعيدها وتدعو ، فطالت على ذلك فذهبت إلى السوق ، فقضيت حاجتي ، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو[6]

المطلب الخامس ـ استماع القراءة من غيره :

---

(1) ـ سورة المائدة ، الآية 119 .

(2) ـ أخرجه أحمد في مسنده ، مسند الأنصار ،حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، رقم الحديث 21495 ، قال محققه شعيب : إسناده حسن .

(3) ـ سورة غافر ، الآيات 70 ـ 72 . والحديث أخرجه عبد الرزاق في المصنف ، كتاب : الصلاة ، باب : ترديد الآية في الصلاة ، رقم الحديث 4196

(4) ـ سورة الجاثية ، الآية 29 .

(5) ـ سورة الطور ، الآية 27 .

(6) ـ التبيان في آداب حملة القرآن ص84 .

إن القرآن الكريم عندما يتلى بصوت حسن مع المحافظة على جودة القراءة ، من حيث أحكام التلاوة ؛ فإن تأثيره يكون كبيراً على السامع ، لا سيما إذا كان هذا السامع على درجة من الإيمان ، وبعيد عن المعاصي والكبائر ، لذا فقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يفضلون سماع القرآن ممن صوته حسن ويجيد القراءة .

قال النووي : " اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون ، وهذا متفق على استحبابه ، وهو عادة الأخيار والمتعبدين ، والزهاد ، وعباد الله الصالحين ، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[1] .

وقد استمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بعض أصحابه تلاوة القرآن الكريم كعبد الله بن مسعود الذي كان صوته جيداً بالقرآن ، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآن" قلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : " إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي " فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[2] قال : "حَسْبُكَ الآنُ "، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان "[3]

وقد ثبت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استمع القرآن الكريم من أبي موسى الأشعري، فقال له " لَو رَأيتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ البَارِحَةُ ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرَ آلَ دَاوُدَ"[4]

ويمكن أن يستمع المفضول من الفاضل ، والعالم ممن هو أقل منه علماً ؛ لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استمع من بعض الصحابة كما أسلفت ، وإذا أراد المسلم أن يستمع من أخيه ، ينبغي له أن يختار من يجيد القراءة ، ويترسل في القراءة ، ويحافظ على أحكام التجويد ، ويعطي للحروف حقها ، كما ينبغي للسامع أن ينصت أثناء التلاوة، وألا يكون أحدهم يقرأ ، والآخر يتحدث ، أو يشتغل بشيء يصرفه عن الإنصات .

المطلب السادس ـ التفاعل العملي مع القرآن الكريم :

---

[1] ـ المصدر نفسه ص112 .

[2] ـ سورة النساء ، الآية 41 .

[3] ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ رقم الحديث 5055 ، 5056 .

[4] ـ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : حسن الصوت بالقراءة للقرآن ، رقم 793 .

من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يتفاعل مع القرآن الكريم ، ويحس أن الخطاب موجه إليه مباشرة ، وهذا ينبغي أن يكون من كل مسلم . وكما مر منذ قليل في حديث حذيفة عندما صلى مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وقرأ البقرة والنساء وآل عمران ، يحدث حذيفة : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما مر بآية فيها تسبيح إلا سبح، ولا آية فيها عذاب إلا استعاذ بالله منه ، وهذا لا شك من التفاعل العملي مع القرآن .

وهذا هو الهدي الصحيح الذي على المسلم أن يهتدي به ، فكتاب الله كتاب هداية ، فيه مواعظ وأوامر ونواهي ، وقصص ، وإعجاز في كل آية من آياته ، فهلا عاشها المسلم وحس بها كما يجب ، ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1] إن علة إنزال هذا الكتاب هو تدبر آياته ، فهلا تدبرناها ، وفهمناها، وعملنا بها ....إنه الحلم .

ومن بعض صور التعامل مع القرآن التي نفعلها وإن كانت قليلة ، مثل قول آمين بعد قراءة الإمام سورة الفاتحة في الصلاة الجهرية ، كذلك سجود التلاوة ، لكنها ليست بالشيء الكثير ، فالتدبر يكون مع كل الآيات ، نركز فيها ، ونعلم أن الناطق بها هو الله رب العالمين ، ونعتبرها رسائل موجهة لنا من لدن حكيم خبير.

المطلب السابع ـ البكاء عند سماع القرآن الكريم :

إنّ من الأمور الطيبة التي يقوم بها المؤمن هي البكاء عند سماع القرآن الكريم ، أو عند تلاوته ، فعندما يعيش الإنسان مع القرآن الكريم وهو كلام الله ـ تبارك وتعالى ـ ويعلم أن هذا الحديث أصدق كلام ، وأنه يتحدث على أمور غاية في الصحة والحقيقة سواءً كانت أموراً سابقة ، أو أموراً لاحقة ، فإنها حقيقة مطلقة ، عند ذلك يتأثر الإنسان بهذه الحقائق ، وقد تنزل دموعه ، إما من الخوف من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإما من الشوق إلى لقائه ـ جل جلاله ـ وإما ، وإما ...إلخ

والبكاء هذا عمل عظيم وطيب ، ويدل على حسن الخشوع والتدبر الجيد ، والتفكر العظيم ؛ وأن القلب حاضر وجل ، والفكر يعمل ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2] ، وليس كمن يقرأ القرآن ولا يعلم ماذا قرأ ، أو عم تتحدث تلك الآيات

---

[1] ـ سورة ص ، الآية 29 .

[2] ـ سورة المؤمنون ، الآية 2 .

التي يقرأها، ويضل فكره شارداً ، وقلبه غافلاً ، ولا يعلم ماذا يقول ، وكل همه أن ينتهي من السورة ، أو الجزء ، ونسأل الله أن يهدينا إلى صالح العمل والقول.

والبكاء من سنته ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فقد ذرفت دموعه الطاهرة عندما قرأ عليه عبد الله بن مسعود جزاءً من سورة النساء ، حتى وصل قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[1] فقد تأثر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الآية الكريمة ، وعاش الموقف الرهيب في ذلك اليوم العظيم ، وأنه سيكون شهيداً على أمته ، فوجل قلبه الشريف وعاش الموقف بحواسه ، حتى ذرفت عيناه الشريفتين .

وقد بوب البخاري لهذه الأحاديث بباب سماه " باب البكاء عند قراءة القرآن" وبوب الإمام مسلم بقوله : باب فضل استماع القرآن ، وطلب القراءة من حافظه ، والبكاء عند القراءة والتدبر .

وقد قال الإمام الغزالي ـ " ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد ، والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره ، فيحزن لا محالة ويبكي ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب السافية ، فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب "[2]

---

[1] ـ سورة النساء ، الآية 41 .

[2] ـ إحياء علوم الدين ، للغزالي 502/3 .

الخـــاتـمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

وبـعـد

إن هذا البحث جعلني أقف على طريقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التعامل مع هذا الكتاب الكريم ، وكيف كانت قراءته للقرآن في الصلاة وفي غير الصلاة ، وعلمت من البحث أن التدبر أمر ضروري ، فلا ينبغي للمسلم أن يقرأ القرآن دون تدبر، وفي هذا الزمان قل التدبر إلى حد كبير ، وأصبح الناس يقرأون القرآن ، وبعضهم من يحافظ على أصول القراءة ، وأحكام التجويد ، ولكنه لا يتدبر ، ولا يسأل عن المعنى ، بل تمر السنين خلف السنين ، ويمر بالآية الكريمة مئات بل ألاف المرات لا يفهمها ، ولا يسأل عنها ، والله المستعان .

يكثرون القراءة ، ويقلون الفهم والتدبر والعمل ، إنه لحال مؤسف ، خلاف ما كان عليه رسولنا الكريم ، وسلفنا الصالح ، فقد كانوا يقرأون ، ويتدبرون ، ويعملون ، وكان أسوتهم في هذا الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فهذا الكتاب ، كتاب منهج حياة ، فيه كل شيء ، من سار عليه فاز في الدنيا ، والآخرة ، ومن حكم به عدل ، ومن خالفه وبحث عن الهدى في غيره ضل وخسر الدنيا والآخرة .

التوصيات

1 ـ أوصي بنشر المنهج النبوي في تدبر القرآن الكريم ، وذلك بجعل الوعاظ والخطباء يركزون خطبهم وكلامهم على تدبر القرآن ، وبيان منهج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـفي ذلك ، وإعلام المؤمن بأن الخير كل الخير ، والفلاح كل الفلاح ، في اتباع هدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

2 ـ التركيز على المدارس القرآنية ؛ بل وينصح بتعميم منهج للتدبر ، وطريقة السلف الصالح في هذا الشأن ، ويدرس هذا المنهج ويمتحن فيه الطالب والمدرس .

هذا ما رأيت أن أكتبه عن منهج الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـفي تدبر القرآن فإن وفقت فهو من الله وإن أخفقت فمن نفسي ومن الشيطان

وأصلي وأسلم على خير خلق الله أجمعين

والحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

2 ـ إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، وبهامشه تخريج أحاديث الإحياء، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، الناشر دار الشعب.

3 ـ التبيان في آداب حملة القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، حققه وخرج أحاديثه بشير محمد عيونّ ، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1991 م

4 ـ تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق /مصطفى السيد محمد و محمد السيد رشاد و محمد فضل العجماوي و علي أحمد عبد الباقي و حسن عباس قطب ، مؤسسة قرطبة ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، مصر ، الطبعة الأولى 1421 هـ 2000م

5 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور /عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر ، دار هجر ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1422هـ 2001 م .

6 ـ الجامع الصحيح، وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـوسننه وأيامه ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة المدينة المنورة .

7 ـ سنن ابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق /محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية ، مكتبة المعارف الرياض ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى

9 ـ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به فريق : بيت الأفكار الدولية.

10 ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليهّ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية 1414هـ 1993 م .

11 ـ صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي سليمان مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ـ الرياض ط 1419هـ 1998م .

12 ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، راجعه سماحة الشيخ /عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه /محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه / محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ـ بيروت لبنان

13 ـ متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، للعلامة الشيخ محمد بن الجزري الشافعي، بشرح الشيخ زكريا الأنصاري، الناشر /المكتبة السعيدية، مصر ، د ت

14 ـ مسند الإمام أحمد، تحقيق :شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى 1414 هـ ، 1997م .

15 ـ المصنف، لابن أبي شيبة، الإمام أبي بكر عبدالله الكوفي، حققه وخرج أحاديثه / محمد عوامة ، شركة دار القبلة ، السعودية ومؤسسة علوم القرآن ، دمشق الطبعة الأولى 1427هـ ، 2006م.

16 ـ هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد الشافعي، الطبعة الثانية، مكتبة المدينة المنورة.